

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

إن طالب العلم الحوزوي مصداق للعنوان الوارد في الآية المباركة: ﴿قُلْ لَا تَفَرِّمْنَ كُلَّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةً لِّتَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وهو من يكون كلامه موجباً للخطر، أي أن طالب فقه أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) هو الذي إذا ألقى الموعظة والنصيحة تأثر الناس به وحصل لهم الخذر نتيجة وعظه وكلامه.

وبما أن فاقد الشيء لا يعطيه فلا بد أن يكون طالب العلم من المتحذرين في حد ذاته كي يكون كلامه موجباً للخطر، أي لا بد أن يكون طالب العلم في مقام الخذر من ربه لكي يكون كلامه ونصيحته محققاً للخطر في قلوب الناس.

وأما إذا لم يكن في نفسه خذراً ولا مبالياً فكلامه وموعظته لا يزرع في القلوب ذرة خذر، ولا ينطبق عليه مصداق الآية المباركة.

وإنما يكون طالب العلم محلاً لتحذير الناس إذا جمع ثلاث خصال ذكرتها الروايات الشريفة، مضافاً لورعه وعدالته وتعبده.

### الخصلة الأولى: إخلاص النية

وهي أن يكون هدفه وغايته من طلب العلم نشر الدين والدفاع عن منظومة الدين ومذهب أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) أصولاً وفروعاً، وأما إذا كان هدفه الدنيا والبروز والوصول إلى المنصب فإن حظه سيكون في إطار الدنيا.

وهذا هو مفاد هذه الرواية الشريفة في الكافي: عن محمد بن يحيى بسنده عن عمر بن أذينة عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: قال (رسول الله صلى الله عليه وآله): (منهم من لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم... إلى أن قال: ومن أخذ العلم من أهله وعمل به نجاة، ومن أراد به الدنيا فهي حظه).

أي أن حظه في المنصب وفي الشهرة وفي الأموال وليس له تأثير أخروي، فهو مهما نصح ومهما وعظ ومهما اتصل بالناس فإن الناس لا يتأثرون به أبداً، لأن مقاصده واضحة تصب في الارتباط بالدنيا، لذلك لا يشعر الناس بخروج النصيحة من قلبه وعمق وجدانه، فهذا مقدار حظه لا أكثر من ذلك.

### الخلاصة الثانية: أن لا ينافس الناس على دنياهم

وهي مهمة جداً، فهناك قاعدة اجتماعية راسخة وهي أن الناس يحترمونك ما دمت محترماً لنفسك بأن لا تزاحمهم في الدنيا، ولذلك إذا رأى الناس أن المعمم أو طالب العلم يدخل عالم التجارة والأموال والعقارات والأسهم ويشعر الناس أنه نافسهم فيما يتنافسون وزاحمهم فيما يتزاحمون فيه تسقط منزلته من القلوب، ولا يكون لشخصيته موقع الوثاقة والتأثير في نفوسهم أبداً. نعم، لو كانت عائلة طالب العلم من التجار فهذه مسألة أخرى، وأما دخوله في هذا المجال ليتاجر ويكتسب وينافس فإن مآل ذلك إلى سقوط مكانته من القلوب.

وهذا مفاد هذه الرواية الشريفة في الكافي أيضاً: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم، عن المنقري، عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا رأيت العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم، فإن كل محب لشيء يحوط ما أحب.

وقال (صلى الله عليه وآله): أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريدين، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم.

إن الناس لحبهم للدين بطبعهم يثقون بالمعمم وبطالب العلم ويقبلون عليه، ولكن إذا كان مفتوناً بالدنيا فانه في خطابه وكلماته من حيث يشعر أو لا يشعر يصددهم عن طريق الله ويبعدهم عن أهل البيت (عليهم السلام) ويحجزهم عن الارتباط بالدين، فبدل أن يكون جاذباً للدين ومحفزاً للناس نحو الدين ومدافعاً عن الدين يكون عكس ذلك فهو من قطاع الطريق الذين يقفون حواجز أمام ارتباط الناس بالدين (فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريدين، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم)، فإذا صلى لا يلتذ بالصلاة، وإذا دعا لا يرى للدعاء أثراً على نفسه لأنه مشغول بعالم آخر (إنه مشغول بنفسه مشغول بدنياه).

كما ذكر السيد الأستاذ السيد السيستاني (مد ظله) عدة مرات في نصائحه: أن الناس لم يدخلوا الدين لأجل الأدلة العقلية على صحة الدين، ولم يعتنقوا الدين لأنهم درسوا شرح التجريد مثلاً، وإنما الذي حقق قناعتهم بالدين وجذبهم إلى الدين شخصية عالم الدين، فإنهم إذا رأوا عالم الدين خلقاً متعبداً بعيداً عن الدنيا، بعيداً عن المنافسة في الأموال، بعيداً عن الجري وراء المناصب، وثقوا به وأقبلوا عليه، وإذا كان على خلاف ذلك كان أثره خلاف ذلك.

### الخصلة الثالثة: أن يكون طالب العلم في مقام احترام العلماء والأساتذة

بحيث يكون دأبه ونهجه احترام الأعلام، فلا يتحدث عنهم إلا بألفاظ الاحترام والتبجيل والتوقير حتى في مقام المناقشة، وبذلك يعتاد الناس على احترام العلماء وتوقيرهم. وإما إذا رأوا معمماً أو طالب علم ينال من العلماء ويطعن في هذا وذاك ولا يرى إلا نفسه أو طريقه فإن هذا يفتح باباً للناس في الجرأة حتى على العلماء الموثوقين والمعتبرين. فإذا من الخصال المهمة في طالب العلم أن يبني من أول الطريق إلى آخره على احترام العلماء وتوقيرهم وتبجيلهم.

وهذا مفاد هذه الرواية الشريفة التي رواها في الكافي: عن محمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان إلى أن قال عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبد الله عن من حدثه عن أبي جعفر عليه السلام: (من طلب العلم لبياهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار، إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها).

ومن شروط أهلها أن يكون في مقام احترام العلماء وتوقيرهم وتبجيلهم، لا أنه يتبجح بنفسه واستعراض ما يحفظ من أفكار وآراء.

نسأل الله لنا ولكم التوفيق لذلك، وأن يجعلنا من المرضيين عند إمامنا صاحب العصر والزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.